جامعة غرداية

مخبر التراث الثقافي واللغوي والادبي بالجنوب الجزائري بالتنسيق مع :

كلية الاداب واللغات

تنظم الملتقى الدولي الاول حول:

الموروث الثقافي ودوره في خدمة المجتمع والتنمية

يومي: 08_09 نوفمبر 2016

المحور الثاني

الموروث الثقافي ودوره في خدمة المجتمع والتنمية وطنيا

مداخلة مشتركة بعنوان

وظيفة الزاوية خلال الفترة الاستعمارية زاوية الهامل بولاية المسيلة مثالا

استمارة المشاركة

الاستاذ : كشيدة بلال

جامعة المسيلة

رقم الهاتف: 0554.92.90.31

استمارة المشاركة

الاستاذ: نش عزوز

جامعة غرداية

رقم الهاتف :0772.63.09.18

وظيفة الزاوية خلال الفترة الاستعمارية (زاوية الهامل بالمسيلة مثالا)

الملخص باللغة العربية

تعتبر الزوايا ظاهرة اجتماعية جديرة بالاهتمام من حيث ثبوتها عبر الزمان والمكان، فقد كانت من المواضيع الملفتة للانتباه منذ بداية ظهورها. فكثرتها وامتدادها وانتشارها في المدن والأرياف والجبال والصحاري الواسعة، وإقبال الناس عليها لأخذ العلم من مشايخها، كل هذا إن دل على شيء فإنما يدل على مكانتها في المجتمع.

وتمثل زاوية الهامل القاسمية التي أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي (1863م) واحدة من الزوايا الشهيرة في القطر الجزائري ومثال لكثير من الزوايا الجزائرية التي عملت جاهدة

في سبيل الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري ، تتداخل فيها كل الأبعاد الروحية الدينية العلمية الثقافية والاجتماعية، أثرت في مسار ثقافة شعب عانى من ويلات التخريب والتدمير والضياع وشكلت همزة وصل بين الحاضر والماضي ،كما تعتبر من أصدق الشواهد المادية على المقاومة الثقافية .

The summary

The angles is a social phenomenon worthy of attention in terms of proven through time and place, it was one of the topics is interesting since the beginning of its appearance. Increased spreading spread in the cities and the countryside mountains and deserts, and people's demand for it to take the science of its scientists, all this proves its place in the community.

The angle of the EL HEMEL EL QUASIMIYA founded by Sheikh Mohammad bin Abi al-Qasem Al-hameli (1863m) is one of the famous corners in the Algerian country for example of many corners of Algerian has worked hard to maintain the viability of the Algerian people, where all the dimensions of spiritual and religious scientific, cultural, social, have affected the course of the culture of people who suffered from the scourge of sabotage and destruction and loss and formed liaison between the present and the past, is also considered one of the most tangible evidence on the cultural resistance.

أولا: الجانب المنهجي للدراسة

1. المقدمة:

تعتبر الزاوية من أهم الظواهر التي ميزت المجتمع في العالم الإسلامي بصفة عامة والجزائر بصفة خاصة فجُل المعطيات التاريخية تبين أنها – حتى نهاية القرن 19م وبداية القرن 20م – كانت قوة بشرية واقتصادية جعلت منها أشبه بالأحزاب السياسية المنظمة، كما كانت تجمع الأعطيات وتقبض الزيارات والهدايا ، مما جعلها إلى حد ما تمثل دولة داخل دولة .[1]

ظهرت الزاوية بدايةً في المشرق العربي على شكل بيوت كانت ملحقة بالمساجد، يتردد عليها العباد والزهاد للانزواء والخلوة فيها، ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات. أما في المغرب العربي فقد عرفت الزاوية تطورا بداية من القرن 13م حيث أنشئت الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على تصديها للغزاة على مر العصور بدءًا بالبرتغاليين ثم الإسبان ومن بعدهم الفرنسيين والايطاليين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزات . أما في فترات السلم فكان هدفها القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية[2].

أما الجزائر فقد عرف تاريخها زوايا كان لها دور كبير في نشر الوعي الديني والثقافي بين أوساط السكان وساهمت أيضا بدور إيجابي في تحرير البلاد من السيطرة الاستعمارية والحفاظ على الهوية الوطنية ومقومات الشخصية الجزائرية في مقابل سياسة الفرنسة والتجهيل[3]. ففي الجزائر تنتشر هذه الزوايا بشكل واسع عبر أنحاء الوطن إذ بلغ عددها حوالي 349 زاوية في القرن 19م[4].

وتعتبر زاوية الهامل القاسمية التي أسسها الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي واحدة من الزوايا الشهيرة في القطر الجزائري ومثال لكثير من الزوايا الجزائرية التي عملت جاهدة في سبيل

---

[1] التليلي العجيلي: النخبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر ،الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الإقتصادية والإجتماعية، العدد 05، تونس 1992،ص195

[2] عبد القادر الشطي: السلفية الوفية ، مذهب أهل الحق الصوفية ، دار هومة ، الجزائر ،2002، ص310

[3] كفاح جرار: زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية، منشورات الأنيس للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،2012،ص17

[4] محمد نسيب :زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر،1989،ص31

الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري ، تتداخل فيها كل الأبعاد الروحية الدينية العلمية الثقافية والاجتماعية، أثرت في مسار ثقافة شعب عانى من ويلات التخريب والتدمير والضياع وشكلت همزة وصل بين الحاضر والماضي ،كما تعتبر من أصدق الشواهد المادية على المقاومة الثقافية[1].

وتتبع زاوية الهامل الطريقة الرحمانية والتي كان لها دور كبير في المقاومات الشعبية فقد تحالفت مع الأمير عبد القادر منذ بداية المقاومة وقادت معظم الثورات التي عرفتها الجزائر على الأقل في مناطق وجودها: ثورة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي1849م، ثورة بلاد القبائل 1852م، ثورة الشيخ الصادق بن الحاج بالأوراس 1859م، ثورة الشيخ ابن الحداد1871 م، وقد تحدث عنها الباحث الفرنسي "jacques berque" بقوله: " إن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب بأسره، من حيث المجهود الذي بذلته بكل عزم في زمن الإستعمار ،وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية."[2]

2. إشكالية الدراسة:

لمعالجة هذا الموضوع ومقاربته أكاديميا نطرح الإشكالية التالية:

- ☒ هل كان لزاوية الهامل تأثير في الواقع الثقافي والاجتماعي أثناء الفترة الاستعمارية ؟ أم أنها كانت عبارة عن مؤسسة دينية وظيفتها نشر التعاليم الإسلامية؟

وضمن هذه الإشكالية الرئيسية تطرح عديد التساؤلات الفرعية من أهمها:

- ✓ ما دور زاوية الهامل في المجال الثقافي ؟
- ✓ كيف أثرت زاوية الهامل وتأثرت في المجال الاجتماعي؟
- ✓ ما هي التحديات والعراقيل التي واجهتها زاوية الهامل في آداء وظائفها؟

وباعتبار أن زاوية الهامل تعتبر كمثال لدراستنا سنحاول أن ننظر في الوسائل التي استخدمتها والأهداف التي رسمتها والظروف التي اشتغلت فيها ، ثم نرى هل بالإمكان سحب

---

[1] عبد المنعم القاسمي الحسني: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862–1962)،ط2، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر،2013،ص15

[2] مراسلة "jacques berque" إلى الشيخ مصطفى قاسمي الحسني، زاوية الهامل، بتاريخ 17 سبتمبر1965، من وثائق المكتبة القاسمية

ذلك على بقية الزوايا بالقطر الجزائري؟ هل نستطيع القول أن هذه الزوايا كانت تقوم بنفس الوظائف؟ .

تحديد مفاهيم ومصطلحات الدراسة :

2/ الزاوية: من بين المنظمات الدينية الأولى والرئيسة ، فهي تطبق وتدرس العلوم الإسلامية السنية ،وتتواجد داخل الذاكرة الاجتماعية من خلال وضعها الروحي ووزنها المادي المرتبط بوظائفها الفكرية، و مهامها التربوية التكوينية والاجتماعية

4/ الاستعمار: هو ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب معظم لثروات البلاد المستعمرة، فضلا عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة

3. أهمية الموضوع:

إن أهمية موضوع وظيفة الزوايا وقيمته العلمية، تتأكدان أكثر بالنظر إلى راهنية بعض الأسئلة والقضايا الأساسية التي طرحت ولا تزال تطرح اليوم، وطبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع في جزائر الأمس واليوم. من خلال إبراز بعض الجوانب والقضايا النظرية والسياسية التي قد يثيرها موضوع الزوايا على مستوى الراهن الاجتماعي و السياسي، إذ أبدت السلطة في الجزائر مؤخرا اهتماما متزايدا بالزوايا باعتبارها من أهم المؤسسات الروحية التي حافظت على الشخصية الوطنية والهوية الحضارية للشعب الجزائري على مرّ الحقب والمراحل التاريخية.

4. أسباب اختيار الموضوع:

1.4 دوافع شخصيّة:

– وجود زاوية الهامل في نفس الولاية التي نقطن بها، كونها لا تبعد عن مقر الولاية سوى 70كلم، وحبنا لتاريخ المنطقة الذي هو جزء من تاريخ الجزائر.

2.4 دوافع موضوعية:

تكمن في وجود مادة أرشيفية غزيرة تعنى بالموضوع رأسا، تتيح للباحث الاطلاع على تفاصيل مهمة لا غنى عنها حول الموضوع. وأذكر هنا بالذات وثائق وأرشيف المكتبة القاسمية التابعة لزاوية الهامل، وكذا ارشيف ما وراء البحار بفرنسا.

5. الدراسات السابقة:

1.5 على المستوى الدولي:

- ديبون وكوبولاني "depont et coppolani " : الضابطان الفرنسيان لهما دراسة حول الطرق الصوفية والزوايا في الجزائر، والتي تعتبر من أشهر الدراسات والبحوث في الموضوع، نشرت ابتداءا في المجلة الإفريقية بدءا من سنة 1877م على فترات، وظهرت كاملة في مجلد ضخم سنة 1897م.[1]

- إيزابيل ابرهاردت "Isabelle Eberhardt" (1877-1904) : الكاتبة والصحفية السويسرية التي إعتنقت الإسلام، ربطتها علاقة مع السيدة زينب فكتبت عن فترة توليها مشيخة زاوية الهامل في كتابها "مذكرات الطريق".[2]

2.5 على المستوى المحلي :

- محمد علي دبوز: في كتابه : "نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة "،أدرج لتاريخ الزاوية فصلا بعنوان: زاوية الهامل ومعهدها الكبير، تناول فيه لمحة تاريخية عن القرية والزاوية ، وترجمة للشيخ المؤسس وبعض أعماله، بالإضافة إلى جهود زاوية الهامل في التربية والتعليم... [3]
- أبو القاسم سعد الله : في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع ، والذي خصصه للحديث عن الطرق الصوفية، حاول من خلاله إبراز مجهودات الشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس زاوية الهامل.

6. آليات ومناهج البحث:

نظرا لطبيعة الموضوع، على الباحث أن يتبع المنهج التاريخي القائم على عدة آليات نوجزها على النحو التالي:

- آلية الوصف التاريخي الاستقصائي: وسأعتمد عليها في سرد بعض الحقائق وتبيين بعض الملاحظات واستقصاء بعض المعلومات التاريخية المطوية في الوثائق المختلفة.

---

[1] Depont et Coppolanni: Les Confréries religieuses musulmanes, Alger, A. Jourdan. 1897

[2] طبع الكتاب بباريس عام 1908

[3] طبع الكتاب بالمطبعة التعاونية بدمشق سنة 1964

- آلية التحليل والنقد، وسأعتمد هذه الآلية لتحليل بعض المعطيات التاريخية التي تخص الموضوع مع النقد، قصد الوصول إلى استنتاجات لأحكام جزئية أو عامة.
- آلية المقارنة، تفيدنا هذه الآلية في فهم العلاقة الموجودة بين الزاوية محل الدراسة وباقي الزوايا الأخرى .

ثانيا: الجانب التطبيقي للدراسة

1. الموقع الجغرافي لزاوية الهامل:

إن الزاوية كمكان تعني التموقع بعيداً عن الاختلالات والاضطرابات الحاصلة في العالم الدنيوي، وبالمقابل فهي تشكل زاوية لرؤية العالم، وهذا ما أبرزته بعض المقاربات الأنثروبولوجية التي أسست منظومة معرفية حول ظاهرة الزوايا في المجتمعات العربية والاسلامية في طورها التقليدي، انطلاقا من مفاهيم المكان والفضاء ومحمولاتها الثقافية والتاريخية والاجتماعية[1].

تشكل واحة بوسعادة جزءا من الهضاب العليا الجزائرية، وتقع في نقطة التقاء الاحداثيات الجغرافية (11-4) على خط الطول الشرقي، و(13-35) على خط العرض الشمالي ، ويبلغ ارتفاعها على سطح البحر حوالي 560م، وتعتبر المنطقة ملتقا للطرق يربط البحر المتوسط بالصحراء، حيث تربط منطقة الزيبان بالجزائر العاصمة، وتتصل من الناحية الشمالية بمنخفض الحضنة الذي يشكل وسط شط الحضنة، أما من الناحية الجنوبية فتغطيها الكثبان الرملية[2].

أما بالنسبة لقرية الهامل فتقع بالجنوب الغربي من مدينة بوسعادة وتبعد عنها بحوالي 13كلم على الطريق الوطني رقم 89 الرابط بين دائرة بوسعادة ودائرة عين الملح، وهي تبعد بحوالي 250 كلم من ناحية الجنوب عن الجزائر العاصمة على القمم الأخيرة لجبال أولاد نايل في السفح الشرقي لجبل عمران تتوسط السلسلة المعروفة بجبل أمساعد، وبالتالي تتوسط السلسلة الجبلية للأطلس الصحراوي الممتد من الشمال الشرقي للجزائر انطلاقا من الأراضي التونسية إلى غاية الجنوب الغربي متوغلة داخل التراب المغربي.

---

[1]- غرس الله عبد الحفيظ: الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية مقاربة سوسيولوجية، **مجلة المواقف**، العدد الأول، ديسمبر 2007 م، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، ص19

[2] – Youssef Nacib ; L'oasis de Bou Saâda, edition ziryab, 2013.p39.

2. أصل تسمية القرية بالهامل :

ويطلق مصطلح الهامل في العامية الجزائرية بمعنى الضال، الذي ظل الطريق في سيره أو الذي يبحث على من يرشده في دينه، وقد يكون المعنى الثاني الأقرب للصواب، ذلك أن أول مسجد أسس بها هو مسجد التوتة في القرن السادس الهجري وقد جعل هذا المسجد لهداية الناس بالوعظ والإرشاد[1].

كما قد يكون أصل التسمية يتعلق بالطبيعة التضاريسية للمنطقة كونها تقع في منطقة بعيدة مخفية ومهملة بين الجبال ولو لم تكن مركزا علميا لما عرفت.

إلا أن "ابن بكار" في كتابه "مجموع الحسب والنسب" ذكر أن أصل التسمية يرجع إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم مؤسس الزاوية، وأن تسمية الهامل كانت للزاوية قبل البلدة وذلك في قوله:" أسس الغوث الشيخ سيدي محمد بن ابي القاسم تلك الزاوية وسماها زاوية الهامل قبل تسمية تلك البلد بالهامل."[2].

وفي المكان المسمى بالهامل لا يوجد من الآثار ما يدل على أن المنطقة شهدت حضارات غابرة، فالمكان طبيعيا ضيق المساحة ولا يشجع على العيش فيه، ولعل الذي اختار هذا المكان كموطن له ولمن يأتون بعده قد تعمد ذلك، فكان المكان بذلك محدودا لا يتسع إلى لعدد قليل من القاطنة[3].

وقد أورد الحاج بونيف وصفا دقيقا لمنطقة الهامل بقوله" لا أدري إن كان اختيار الشيخ سيدي أحمد عبد الرحيم للمكان عن استراتيجية رآها ومن معه ، أم هي محض صدفة ، ولكن الدلائل كلها تبين أن ذلك كان على حسن تفكير وبعد نظر، فالمكان مرتفع ومناسب لمراقبة ما حوله، ومشرف على كل النقاط المحيطة به ، فعلى جنباته البساتين والعيون، ومن حوله الجبال والأراضي المستغلة للحراثة والزرع والرعي وغيرها من الأمور المعيشية التي تتطلبها حياتهم البسيطة آنذاك."[4]

---

[1]– محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج1، عالم المعرفة، ط1، الجزائر،2012، ص 63

[2]– ابن بكار: مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص157

[3]– الحاج بونيف: صفحات من تاريخ الهامل ، دار الخلدونية، (د.ط)، الجزائر، 2012، ص21

[4]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها

ولا شك أن الظروف كانت مساعدة على اختيار هذه المنطقة دون غيرها من المناطق، فقرية الهامل تقع على الطريق الرابط بين مدن الشمال والجنوب مما جعلها محطة عبور للقوافل التجارية، ناهيك عما توفره هذه الميزة من عوائد اقتصادية للمنطقة، كما كانت تاريخيا محطة عبور للحجاج القادمين من المغرب الأقصى باتجاه البقاع المقدسة.

وحسب الروايات الشفهية المتداولة في المنطقة أن المكان المسمى بالهامل قد أقام به أحد أجداد محمد بن أبي القاسم وهو الشيخ عبد الرحيم بن أيوب والذي أسس به مسجدا في ذلك الوقت، وبالتالي فقد يكون للبعد التاريخي الديني عاملا في اختيار مكان الأجداد كموضع لتأسيس هذه الزاوية وهذا ما عبر عنه المؤرخ جاك بيرك بقوله:" إن تأسيس زاوية الهامل يعتبر إعادة بعث للزاوية السابقة التي أسسها في الماضي أجداد محمد بن أبي القاسم"[1].

أما بالنسبة لموضع الزاوية بالنسبة للقرية فيبدوا أنه أختير بعناية فائقة وقد عبر عن ذلك محمد علي دبوز بقوله:" وفي ناحية تجمع بين خصائص الصحراء وميزات الشمال، ففيها من الصحراء صفاء الجو، والطقس اللطيف في الشتاء، وطهارة البيئة"[2]. وهذا ما أكدته الصحفية ايلزابيت ابرهارد بقولها" هذا المكان له طابع متميز خاص به فلا هو يشبه الصحراء ولا البادية المعتادة للهضاب العليا"[3]، فكانت هذه العوامل المناخية جاذبة للطلبة القادمين من الشمال ومساعدة على استقرارهم بالمنطقة.

3. <u>الوظائف الثقافية والاجتماعية للزوايا في الجزائر</u>

أخذت الزاوية أهميتها من تعدد وتنوع وظائفها المختلفة ذات الابعاد الوطنية، فالدور الذي أخذته على عاتقها في مختلف الميادين جعلها محط اهتمام من قبل المستعمر الذي حاول في كثير من الأحيان شل حركتها، كونها ساهمت في التصدي للتيار الاستعماري وشاركت في مسيرة النهضة الوطنية التي كان من دعائمها الطلبة والعلماء والفقهاء، فاستطاعت بذلك أن تقف كعقبة أمام الاستعمار وسياساته الممثلة في تنصير المجتمع الجزائري وتجنيسه وفرنسته، ولعل أهم دور قامت به يتمثل في المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا[4].

---

[1] – Jaque berque: le Maghreb entre deux guerres, édition du seuil, paris, 1962,p142

[2] – محمد علي دبوز: المرجع السابق، ص 62

[3] – Isabelle eberhardt:Note de route ,Librairie Chorpentur et fasquelle,paris,1908,p290

[4] – نجيب بن خيرة: ابحاث اسلامية في الفكر والتاريخ، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2010، ص36-37.

لقد استطاعت الزوايا أن تحافظ على الشخصية الوطنية طوال الفترة الاستعمارية، ويظهر الأثر الإيجابي للزوايا في المعركة الحضارية التي خاضتها ضد الاحتلال الفرنسي، وبالرغم مما تعرضت له الزوايا في الجزائر من تدمير وتخريب ومصادرة إلا أنها أخذت على عاتقها مهمة التوجيه والإعداد لانتفاضات وثورات ناهيك عن دورها العلمي والديني[1].

وقد أشارت الدراسات الكولونيالة التي تمت في مرحلة الاحتلال إلى الوجود المتميز لحركة الزوايا وتركيبتها، وأشادت بوظائفها المتنوعة، كالنقيب "Neveu" الذي أجرى دراسة هامة سنة 1945م حول الاتجاهات الدينية وتنظيماتها.

حيث كشف عن تعددية وتشعب وظائف الزاويا في الجزائر، فوصفت بكونها مؤسسة ليس لها مثيل في الاوساط الغربية، "فهي عبارة عن مصلى، وفي نفس الوقت تابعة للعائلة التي قامت بتأسيسها، حيث يأتي المريدون المرتبطون بالعائلة للزيارة في أوقات مخصصة، وهي أيضا مسجد يجتمع فيه مسلمو القبائل المجاورة لأداء الصلاة جماعيا، كما أنها مدرسة تدرس مختلف العلوم القرآنية، الكتابة، الحساب، الجغرافيا، التاريخ، الكيمياء، السحر، الفلسفة، والتوحيد للأطفال طول السنة وللطلبة في مواسم معينة، والعلماء في أوقات خاصة فهم يجتمعون لأجل تعلم ما يجهلونه أو لإثارة ما يجهلونه أو لإثارة نقاشات حول مسائل قانونية فقهية، تاريخية، وعقائدية."[2]

1.3 الوظيفة الثقافية لزاوية الهامل

ساهمت زاوية الهامل القاسمية في بعث حركة علمية فكرية واسعة شملت مناطق عدة من الوطن وبلغ تاثيرها الى خارجه، عن طريق البعثات والمراسلات والعلاقات مع علماء العصر وجعلت من تلك القرية الهادئة الوادعة –قرية الهامل– مركزا هاما من مراكز التعليم في القطر الجزائري، ينافس بمستواه كبريات الحواظر العلمية المعروفة في العالم الاسلامي، كالازهر الشريف بالقاهرة والزيتونة بتونس والقيروان بفاس.

حيث اولت الزاوية عناية خاصة بالتعليم وهذا ما تبناه شيوخ الزاوية الذين تعاقبوا على مشيختها، وذلك من خلال توفير مستوى عال من التعليم وهذا ما أعطى للزاوية مكانة مرموقة

---

[1] – محمد العربي حرز الله: منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830–1930)، دارالسبيل، (د.ط)، 2009، ص339

[2] غرس الله عبد الحفيظ، الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية مقاربة سوسيولوجية، **مجلة المواقف**، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، العدد الأول، ديسمبر 2007، ص22

بين مختلف الزوايا المنتشرة في القطر الجزائري، وهذا ما ابرزته مختلف الرسائل التي تحصلنا عليها. ويوجد نوعان من التعليم داخل الزاوية الاول تعليم موجه لكافة فئات الشعب، فزاوية الهامل في الاصل مثلها مثل غيرها من زوايا العلم والقران الكريم، مؤسسة دينة حرة هدفها الاساسي المحافظة على الدين الاسلامي ونشر تعاليمه بين فئات الامة على مختلف مستوياتهم الفكرية ضمن هذا المنطلق لم تكن زاوية الهامل قبلة للعلماء والاساتذة وطالبي العلم من التلاميذ فحسب، بل كانت مقصدا لعامة الناس.

اما النوع الثاني من التعليم فتعليم خاص موجه لفئة معينة وهو قائم على مناهج علمية مضبوطة، ويجتاز الطالب من خلاله مراحل محددة ويخضع اثناء عملية التدريس لنظام مسطر لا يحيد عنه، وقد حرصت زاوية الهامل على القيام بهذا النوع من التعليم وسخرت له كل ما تملك من طاقات، وكان مختلف الشيوخ الدين تعاقبوا على ادارة شؤنها حريصين على حسن تنظيمه واستمراريته فلم تنقطع الزاوية عن القيام به مند تاسيسها.

وقد قسم التعليم النظامي في الزاوية الى قسمين اساسيين وهما:

أولا: قسم تحفيظ القران الكريم

فهو قسم مخصص لتعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القران الكريم، وتعتبر هدة المرحلة من التعليم اساسية وإجبارية لمن يريد الارتقاء الى قسم علوم الاعلام.

ثانيا: قسم علوم الدين

وهو القسم المخصص بتدريس مختلف علوم الدين وفنون اللغة العربية الى جانب العلوم الاخرى التي لا يدرس منها عادة إلا بالقدر الذي يخدم علوم الدين، كالفلك والحساب والتاريخ والمنطق

2.3 الوظيفة الاجتماعية لزاوية الهامل

اتجهت السياسة الفرنسية إلى احداث تغيير في البنية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للمجتمع الجزائري، قصد تدمير روح المقاومة التي يتمتع بها وهذا لا يتم حسب منظور هذه السلطات دون القضاء على كل ما له علاقة مباشرة بمعتقدات الأهالي وأنظمتهم الحضارية التي توارثوها وبهذه الطريقة تستكمل عملية الهدم والتدمير لجميع مقومات المجتمع.

وقد بنيت سياسة الاحتلال الفرنسي في المجال الاجتماعي على سلسلة من الإجراءات المتعاقبة تتمثل في إيجاد مجتمع جزائري منسجم مع الغايات التي ينشدها المحتل، بحيث يكون

منفصلا عن أصوله الثقافية والدينية والاجتماعية مندمجا في المجتمع الفرنسي دون أن يرقى في نظر المستعمر إلى نظام الحكم والتسوية بينهما، وفي ظل غياب سلطة فعلية تقوم بتسيير المجتمع كانت الزوايا هي الملاذ الوحيد للكثير من الفئات الاجتماعية.

من هنا فقد برزت مكانة زاوية الهامل كمؤسسة اجتماعية قدمت للمجتمع خدمات جليلة، من علم وتربية وإيواء وتأهيل مهني واجتماعي ورعاية نفسية فقد كانت مفتوحة لكل فئات المجتمع دون استثناء، وملاذا آمنا في أوقات الكوارث والأزمات الاجتماعية، فالحروب التي حدثت في الجزائر طوال فترة الاحتلال أدت إلى تشريد العائلات وتدمير ملكيتهم الفردية، وزيادة عدد الأيتام، فوجد هؤلاء في الزاوية الملجأ الوحيد لمعاناتهم. اقترنت وظيفة زاوية الهامل في المجال الاجتماعي بالإطعام، ولا شك في مال هذه الوظيفة من أهمية بالغة في مجتمع عانى كثيرا من نقص في الإنتاج فترات الجدب والقحط والمجاعة[1].وقد عبر الباحث الفرنسي جاك بيرك(*) عن الوظائف التي تقوم بها زاوية الهامل محل دراستنا في رسالة إلى الشيخ "مصطفى قاسمي الحسني"(*) وذلك في قوله:" إن تاريخ زاوية الهامل يهم تاريخ المغرب بأسره، من حيث المجهود الذي بذلته زمن الاستعمار وذلك باستنهاض القيم الروحية والاجتماعية التي تقوم مقام ملجأ للناس"[2].

استطاعت زاوية الهامل أن تقوم مقام السلطة الفعلية في وقت غابت فيه السلطة السياسية فكان القائمون عليها يتنقلون إلى اماكن النزاعات لحلها، وفي معظم الحالات كانت الخلافات تحل في الزاوية نفسها، وخصوصا ما تعلق بالمشاكل العائلية كالإصلاح بين الأزواج، وفي كثير من الأحيان كانت عقود الزواج تقام داخل الزاوية وتتكفل الزاوية بنفقات الزواج[3].

---

[1] – محمد بن الطيب: إسلام المتصوفة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2007، ص 169

(*) جاك بيرك: مستشرق فرنسي، تبنى الدفاع عن القضايا العربية، توفي سنة1995.

(*)الشيخ مصطفى بن محمد بن الحاج محمد بن ابي القاسم الشريف الحسني (1897–1970)، شرع بالتدريس في الزاوية سنة 1916م وذلك في ولاية عمه الشيخ أبي القاسم، وفي سنة 1928م تولى مشيخة الزاوية (أنظر عواطف قاسمي الحسني: نفحات هاملية، بين الرواية والحقيقة، وبين الحقيقة والوثيقة، دار الخليل القاسمي، 2014، ص 93.)

[2] – رسالة جاك بيرك إلى الشيخ مصطفى قاسمي الحسني، شيخ زاوية الهامل، بتاريخ 17 سبتمبر1965، من وثائق المكتبة القاسمية.

[3] – بثينة سلطاني الحمراوي: البعد الإصلاحي في التراث الصوفي، **مجلة الحياة الثقافية**، منشورات وزارة الثقافة، تونس، العدد239، 2013، ص11

وتقام في الزاوية مجموعة من الأعياد والاحتفالات الدورية التي كانت تساهم في تكوين علاقات اجتماعية متينة جدا، وتمكن من تخطي تلك الحواجز الاجتماعية وحتى السياسية، فتتوثق بذلك العلاقات العائلية وتتبادل الأخبار الودية، وتبرم العهود والعقود والصفقات، وبهذا يحدث الحراك الاجتماعي المحلي[1].

تحيي الزاوية الاحتفالات الخاصة بموسم الحج وتسهر على توفير المال لبعض الحجاج، ويبرز أحد التقارير الفرنسية هذه الاحتفالات:"في مختلف المناسبات والأعياد الدينية، تأتي أيضا أعداد كبيرة من الزوار المريدين من بعيد لحضور الاحتفالات بعيد الفطر وعيد الأضحى، عاشوراء، والمولد النبوي الذي يتميز عن غيره من المناسبات حيث توزع فيه الصدقات والأموال على الفقراء"[2].

وما يمكن أن نخلص به من خلال ذكرنا لبعض الوظائف الاجتماعية للزاوية، يكمن في كون الزاوية استطاعت أن تخفف من معاناة الشعب الجزائري وذلك من خلال التكفل بالفقراء واليتامى والمساكين، كما أنها حافظت على تماسك ووحدة المجتمع الجزائري، وتمكنت من خلال نشاطها من تنظيم العلاقات بين مختلف شرائح المجتمع فكانت تستقبل الأموال من الأغنياء وتصرفها على الفقراء، ومثلت قلعة حصينة في وجه المشاريع الاندماجية التي سعى المستعمر الفرنسي إلى تحقيقها.

الخاتمة:

من هنا فإن الزاوية عبارة عن مؤسسة متعددة الاختصاصات، حيث تمكنت من ان تكون بديلا يملأ الفراغ الذي أحدثه المستعمر من خلال الوظائف المتعددة التي أصبحت منوطة بها، فاستطاعت بذلك أن تحافظ على البنية الاجتماعية للجزائريين في وقت لم تكن فيه أي مؤسسة أخرى يمكن لها أن تقوم بهذا الدور، فهي المسجد والمدرسة والمنزل والمكان الذي يمكن للفرد أن يجد فيه راحته دون مقابل.

---

[1] – محمد بن الطيب، المرجع السابق، ص169

[2] – مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص87

قائمة المراجع:

الوثائق الأرشيفية:

مراسلة "jacques berque" إلى الشيخ مصطفى قاسمي الحسني، زاوية الهامل، بتاريخ 17 سبتمبر 1965، من وثائق المكتبة القاسمية.

الكتب:

1. عبد القادر الشطي: السلفية الوفية، مذهب أهل الحق الصوفية ، دار هومة ، الجزائر ،2002
2. كفاح جرار: زوايا ثائرة من اللوحة إلى البندقية، منشورات الأنيس ، الجزائر ،2012
3. محمد نسيب : زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر،1989.
4. عبد المنعم القاسمي الحسني: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد(1862-1962)،ط2، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر،2013م
5. محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة،ج1،عالم المعرفة،ط1، الجزائر،2012.
6. ابن بكار: مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961.
7. الحاج بونيف: صفحات من تاريخ الهامل ، دار الخلدونية، (د.ط)، الجزائر، 2012.
8. نجيب بن خيرة: ابحاث اسلامية في الفكر والتاريخ، عالم المعرفة، ط1، الجزائر، 2010.
9. محمد العربي حرز الله: منطقة الزاب مائة عام من المقاومة (1830-1930)، دار السبيل، (د.ط)، 2009.
10. محمد بن الطيب: إسلام المتصوفة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2007م.
11. مبارك الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م

المجلات العلمية:

1. غرس الله عبد الحفيظ، الزاوية فضاء للتنشئة الاجتماعية مقاربة سوسيولوجية، مجلة المواقف، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، العدد الأول، ديسمبر 2007.
2. التليلي العجيلي: النخبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر ،الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، العدد 05، تونس 1992

الرسائل الجامعية:

1. عيسى بن القبي، زاوية الهامل ودورها الثقافي والاجتماعي 1962/1863، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية، 1422/1421.

المرجع باللغة الفرنسية:

1. Youssef Nacib ; L'oasis de Bou Saâda, edition ziryab, 2013
2. Jaque berque: le Maghreb entre deux guerres, édition du seuil, paris, 1962.
3. Isabelle eberhardt:Note de route ,Librairie Chorpentur et fasquelle, paris,1908